سفيان بن عيينة

أعـلام التابعيـن

سفيان بن عيينة

من العلماء الجهابذة النقاد بمكة سفيان بن عيينة. وهو بن عيينة بن أبي عمران الهلالي مولى لهم أبو محمد كوفي سكن مكة

علم سفيان بن عيينة وفقهه :

قال عبد الرحمن بن مهدي: كان سفيان بن عيينة من أعلم الناس بحديث الحجاز.

قال الشافعي: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز.

قال الشافعي: ما رأيت أحداً من الناس فيه من آلة العلم ما في سفيان بن عيينة وما رأيت أحداً أكف عن الفتيا منه ما رأيت أحداً أحسن لتفسير الحديث منه.

قال الشافعي: مالك وسفيان قرينان.

حدث صالح بن أحمد بن حنبل قال: قال أبي: ما رأيت أحداً كان أعلم بالسنن من سفيان بن عيينة.

قال عثمان بن زائدة الرازي، وكان رجلاً صالحاً: قدمت الكوفة فقلت لسفيان الثوري: من ترى أن أسمع منه؟ قال عليك بزائدة بن قدامة وسفيان بن عيينة.

قال عبد الله بن المبارك: سئل سفيان الثوري عن سفيان بن عيينة فقال: ذاك أحد الأحدين يقول ليس له نظير.

قال عبد الله بن وهب: لا أعلم أحداً أعلم بتفسير القرآن من سفيان بن عيينة.

قال نعيم بن حماد: كان ابن عيينة من أعلم الناس بالقرآن، وما رأيت أحداً أجمع لمتفرق من ابن عيينة [1].

(1) مقدمة الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، 1 / 31.

حدث أبي ذؤيب بن عمرو السهمي المديني قال: سألت سفيان بن عيينة هل سمعت من صالح مولى التوءمة شيئاً قال نعم هكذا وهكذا وهكذا وأشار بيده يعني يكثره سمعت منه ولعابه يسيل يعني من الكبر، وما علمت أحداً من أصحابنا يحدث عنه لا مالك بن أنس ولا غيره قال عبد الرحمن فقد بان أن ابن عيينة منتقد لرواة الآثار فإني لا أعلمه روى عن صالح مولى التوءمة شيئاً.

وسئل عن محمد بن إسحاق قيل له: لم يرو أهل المدينة عنه فقال سفيان: جالست بن إسحاق منذ بضع وسبعين سنة، وما يتهمه أحد من أهل المدينة ولا يقول فيه شيئاً قلت لسفيان: كان بن إسحاق جالس فاطمة بنت المنذر.

قال وكيع: ما كتبنا عن بن عيينة إلا والأعمش حي سنة ست وأربعين ومائة.

أخبرمحمود بن آدم المروزي فيما كتب قال: ما رأيت وكيعاً عند بن عيينة قط إلا جاثياً بين يديه على ركبتيه ساكتاً لا يتكلم.

قال أبا معاوية: كنا نخرج من مجلس الأعمش فنأتي ابن عيينة.

قال سفيان: كنت ألزم أيوب بالليل عند عمرو بن دينار، وكنت أفيده عن عمرو بن دينار رؤوس الأحاديث، وأذهب معه فأسأل له عن تلك الأطراف، وكان يسألني كم روى عمرو عن فلان وكم روى عن فلان فأقصها عليه ثم أكتب له من كل شيخ شيئاً وأسال له عمراً عنها.

قال علي يعني ابن المديني: سمعت سفيان قال: ربما عادني بن أبي نجيح وأنا غليم وكنت طويل الملازمة بالليل والنهار.

قال أبو أسامة: دخل بن عيينة علي زائدة، وهو مريض فسأل زائدة بن عيينة عن حديث فحدثه فدعا زائدة بشيء وكتبه.

ومولد سفيان بالكوفة في منتصف شعبان سنة سبع ومائة. وتوفي يوم السبت آخر يوم من جمادى الآخرة، وقيل: أول يوم من رجب سنة ثمان وتسعين ومائة بمكة ودفن بالحجون، رحمه الله تعالى.

مواقف من حياة سفيان بن عيينة:

أبوهم أنت أخوهم أنت!:

حدث صالح بن أحمد بن حنبل قال: سمعت أبي يقول: دخل سفيان بن عيينة على معن بن زائدة وهو باليمن ولم يكن سفيان تلطخ بشيء من أمر السلطان بعد فجعل سفيان يعظه ويذكر له أمر المسلمين فجعل معن يقول له أبوهم أنت أخوهم أنت.

والله لشقاء أصحاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بك أشد من شقائك بنا!

:

وورد في بعض المجاميع أن سفيان خرج يوماً إلى من جاءه يسمع منه وهو ضجر، فقال: أليس من الشقاء أن أكون جالست ضمرة بن سعيد وجالس هو أبا سعيد الخدري، وجالست عمرو بن دينار وجالس هو ابن عمر رضي الله عنهما، وجالست الزهري وجالس هو أنس بن مالك، حتى عد جماعة، ثم أنا أجالسكم فقال له حدث في المجلس: أتنصف يا أبا محمد قال: إن شاء الله تعالى، فقال: والله لشقاء أصحاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بك أشد من شقائك بنا؛ فأطرق وأنشد قول أبي نواس:

خل جنبيك لرام ... وامض عنه بسلام
مت بداء الصمت خير ... لك من داء الكلام
إنما السالم من أل ... جم فاه بلجام

فتفرق الناس وهم يتحدثون برجاحة الحدث، وكان ذلك الحدث يحيى بن أكثم التميمي، فقال سفيان: هذا الغلام يصلح لصحبة هؤلاء، يعني السلطان.

وما رأيت أكف عن الفتيا منه:

وقال الشافعي: ما رأيت أحداً فيه من آلة الفتيا ما في سفيان، وما رأيت أكف عن الفتيا منه.

وكان أدرك نيفاً وثمانين نفساً من التابعين. قال سفيان المذكور: كنت أخرج

إلى المسجد فأتصفح الخلق فإذا رأيت مشيخة وكهولة جلست إليهم وأنا اليوم قد اكتنفني هؤلاء الصبيان، ثم ينشد:

خلت الديار فسدت غير مسود ⁝ ومن الشقاء تفردي بالسؤود

وإني قد استحييت من الله:

قيل: إنه في آخر سنة حج قال: قد وافيت هذا الموضع سبعين مرة وأقول كل مرة: اللهم لا تجعله آخر العهد من هذا المكان، وإني قد استحييت من الله من كثرة ما أسأله ذلك، فرجع فتوفي في العام القابل.

أي مصيبة أعظم من أن يؤمل فيك رجل خيراً فلا يصيبه:

وقال رجل: كنت أمشي مع سفيان بن عيينة إذ أتاه سائل فلم يكن معه ما يعطيه، فبكى، فقلت: يا أبا محمد ما الذي أبكاك قال: أي مصيبة أعظم من أن يؤمل فيك رجل خيراً فلا يصيبه.

وكان أبو عمران جد سفيان المذكور من عمال خالد بن عبد الله القسري، فلما عزل خالد عن العراق وولي يوسف بن عمر الثقفي طلب عمال خالد فهرب أبو عمران المذكور منه إلى مكة فنزلها، وهو من أهل الكوفة.

وقال سفيان: دخلت الكوفة ولم يتم لي عشرون سنة، فقال أبو حنيفة لأصحابه ولأهل الكوفة: جاءكم حافظ علم عمرو بن دينار، قال: فجاء الناس يسألونني عن عمر بن دينار، فأول من صيرني محدثاً أبو حنيفة، فذاكرته فقال لي: يا بني، ما سمعت من عمرو إلا ثلاثة أحاديث، يضطر في حفظ تلك الأحاديث.

ثم حدثهم بعد ذلك بكل ما أرادوا إلى أن رحلوا :

خرج أصحاب الحديث إلى سفيان بن عيينة فازدحموا فقال: لقد هممت ألا أحدثكم شهراً فقام إليه شاب من أهل العراق فقال له: يا أبا محمد ألن جانبك وحسن قولك وتأس بصالحي سلفك وأجمل مجالسة جلسائك فقد أصبحت بقية الناس وأميناً لله ورسوله على العلم والله إن الرجل ليريد الحج فتتعاظمه مشقته حتى يكاد أن يقيم فيكون لقاؤه إياك وطعمه فيك أكثر ما يحركه عليه قال فخضع

سفيان وتواضع ورق وبكى ثم تمثل بقول حارثة:

خَلَتِ الديارُ فسُدت غير مُسوّد ⁝ ومن الشقاء تَفَرُّدِي بالسُّودَدِ

ثم حدثهم بعد ذلك بكل ما أرادوا إلى أن رحلوا .

إن هذا لفي كتاب الله عز وجل:

قال المكي: كنت عند سفيان بن عيينة وجاء رجل فقال له: إن جاري قد آذاني، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: من آذى جاره ورثه الله داره، فقال له: إن هذا لفي كتاب الله عز وجل، قال الرجل: وأين ذلك؟ قال: قال الله عز وجل: {ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑڑکککک گ گ گ گ گ گپ گپپگگگگگںںڻڻ} [إبراهيم: ١٣ - ١٤]، فقام المكي وقبل رأسه.

فكسر الملعقة:

دخل سفيان بن عيينة على الرشيد وهو يأكل من صحفة بملعقة فقال: يا أمير المؤمنين، حدثني عبيد الله بن أبي يزيد عن جدك ابن عباس في قوله عز وجل:{کککگگ} [الإسراء: ٧٠] أي: جعلنا لهم أيدياً يأكلون بها، فكسر الملعقة.

العلماء ثلاثة:

وقال إسحاق بن الطباع: قال لي سفيان بن عيينة: العلماء ثلاثة: عالم بالله وبالعلم، وعالم بالله ليس بعالمٍ بالعلم، وعالم بالعلم ليس بعالمٍ بالله. قال ابن الطباع: الأول كحماد بن سلمة، والثاني مثل أبي الحجاج والثلث كأبي يوسف.

كم كان يصلي بهم لو أكلوا اللوزينج:

حدثنا محمد بن مزيد البوشنجي، قال: سمعت سفيان بن وكيع بن الجراح، يقول: سمعت سفيان بن عيينة، يقول: دعانا سفيان الثوري يوماً فقدم إلينا تمراً ولبناً خاثراً فلما توسطنا الأكل قال: قوموا بنا نصلي ركعتين شكراً لله تعالى قال سفيان بن وكيع: لو كان قدم إليهم شيئاً من هذا اللوزينج [1] المحدث لقال لهم: قوموا بنا نصلي التراويح.

(1) اللوزينج من الحلوى شبه القطائف يؤدم بدهن اللوز.

المعرفة تنفع عند الكلب العقور:

قال سفيان بن عيينة: عرض المغيرة بن شعبة بالكوفة فوجدهم أربعة آلاف، فمر به شاب من الجند فقال: يا غلام زد هذا في عطائه كذا وكذا، قال: فقام شاب كان إلى جانبه فقال: أصلحك الله هذا ابن عمي لحا ليس له علي فضيلة في نسبٍ ولا نجدةٍ فألحقني به، قال: لا، قال فمر من يحط من عطائي ليظن من حضر أن بك علي موجدة، قال: لا، إن أبا هذا كانت بيني وبينه مودة وكان صديقاً لي وإن المعرفة تنفع عند الجمل الصؤول والكلب العقور فكيف بالرجل ذي المروءة والحسب؟ (1).

سألناك الجلوس لنا فأبيت علينا، فلما جاءك المال والجائزة جلست!! :

وحج هارون الرشيد، فأرسل إلى سفيان بن عيينة فأمره أن يحدث بنيه، فقال يا أمير المؤمنين قد سألني الناس فامتنعت عليهم، ولكني أجلس لبنيك وللناس، فقال: نعم. فلما جلس صاح به الناس: سألناك الجلوس لنا فأبيت علينا، فلما جاءك المال والجائزة جلست. فقال للمستملي: أنصتهم لي. فصاح المستملي: صه صه. فسكت الناس، فأخرج سفيان بن عيينة رأسه إليهم، وقال: حدثني الزهري، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ::**ما شيءٌ أحل وأطيب من ثلاثة: صداق الزوجة، والميراث، وما أتاك الله به من غير مسألة، فإنه رزق ساقه الله إليك**ـــ. والله ما جئت هذا الرجل ولا سألته شيئاً من ماله، ولو وجّه إليّ شطر ماله لقبلته، ثم أدخل رأسه ولم يحدثهم في ذلك الموسم بشيء (2).

يا غلام أظن السلطان سيحتاج إليك:

بكى سفيان بن عيينة يوماً، فقال له يحيى بن أكثم: ما يبكيك يا أبا محمد؟ قال: بعد مجالستي أصحاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بليت بمجالستكم. فقال له يحيى، وكان حدثاً، فمصيبة أصحاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجالستك بعد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم من مصيبتك. فقال: يا غلام أظن السلطان سيحتاج إليك.

(1) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح.
(2) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس.

أنا لكم مثل جبل أبي قبيس:

كان يجتمع في مجلس سفيان بن عيينة مائة ألف نفس، وكان يقول: أنا لكم مثل جبل أبي قبيس، أصعدوا علي وأطلعوا على التابعين.

العجب منك كل العجب! :

قال سفيان بن عيينة: كنت في حلقة رجل من ولد عبد الله بن عمر فسئل عن شيء فقال: لا أدري. فقال له يحيى بن سعيد: العجب منك كل العجب! تقول لا أدري وأنت ابن إمام هدى؟ فقال: أولا أخبرك بأعجب مني عند الله وعند من عقل عن الله: من قال بغير علم، أو حدث عن غير ثقة.

إدخال اللحم على اللحم يقتل السباع في البر:

قال سفيان بن عيينة: اجتمع أطباء فارس وابن كلدة على أن الداء إدخال الطعام على الطعام. وقالوا: إدخال اللحم على اللحم يقتل السباع في البر. والشرب في آنية الرصاص أمان من القولنج [1].

الإيمان قول وعمل:

قال يحيى بن المحشو. سمعت سفيان بن عيينة وقد سأله رجل عن الإيمان فقال: الإيمان قول وعمل، قال: يزيد وينقص؟ قال يزيد ما شاء الله وينقص حتى لا يبقى منه مثلا ذا، وأشار بأطراف أصابه، قال: فكيف نصنع بقوم عندنا بطرسوس يزعمون إنما هو قول: قال كان القول قولهم واستوى قاعدا قبل أن تنزل أحكام الإيمان وشروطه أن الله عز وجل بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم إلى الناس كلهم كافة أن يقولوا: لا إله إلا الله وأنه رسول الله، فلما قالوها حقنوا بها دماءهم وأموالهم، فلما علم الله صدق ذلك من قلوبهم أمره أن يأمرهم فأمرهم بالصلاة ففعلوا، والله لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول فلما علم الله صدق ذلك من قلوبهم أمره أن يأمرهم أن يهاجروا إلى المدينة غربا، ففعلوا، والله لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول ولا صلاتهم، فلما علم الله صدق ذلك من

(1) الزمخشري، ربيع الأبرار.

قلوبهم أمره أن يأمرهم بالرجوع إلى مكة ليقاتلوا آباءهم وأولادهم وإخوانهم، ويقولوا كقولهم ويصلوا صلاتهم ويهاجروا كهجرتهم، فأمرهم ففعلوا، حتى أن أحدهم أتى برأس أبيه، فقال يا رسول الله هذا رأس الشيخ الكافر، والله لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول ولا صلاتهم ولا مهاجرتهم، فلما علم الله صدق ذلك من قلوبهم أمره أن يأمرهم أن يطوفوا بالبيت تعبداً، وأن يحلقوا رؤوسهم تذللاً، فأمرهم ففعلوا، والله لو لم يفعلوا لما نفعهم الإقرار الأول ولا صلاتهم ولا مهاجرتهم ولا قتلهم آباءهم، فلما علم الله صدق ذلك من قلوبهم، قال خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها، وكانت أشد الخلال عليهم ففعلوا، وأتوا به سراً وعلانية قليلها وكثيرها، فلما علم الله الصدق من قلوبهم فيما تتابع عليهم من شرائع الإيمان وضروبه فأنزل الله عليهم:{ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁ﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿ} [المائدة: ٣]، فمن ترك خلة من خلال الإيمان كان عندنا كافراً، ومن تركها كسلاً أو تهاوناً أدبناه وكان عندنا ناقصاً. هكذا السنة يا بني فأبلغها عني من لقيت من جماعة المسلمين.

كنتم نجوماً يهتدى بكم فصرتم حيرة:

قال محمد بن حسان التهتي: شهدت فضيل بن عياض في مجلس سفيان بن عيينة فتكلم الفضيل فقال: كنتم معشر العلماء سراج البلاد يستضاء بكم فصرتم ظلمة، كنتم نجوماً يهتدى بكم فصرتم حيرة، لا يستحي أحدكم أن يأخذ مال هؤلاء، وقد علمتم من أي هو يجيء، يسند ظهره فيقول: حدثني فلان عن فلان، فرفع سفيان رأسه فقال: هاه هاه، والله إن كنا لسنا بصالحين إنا لنحب الصالحين، فسكت فضيل، فطلب إليه سفيان، فحدثنا تلك الليلة ثلاثين حديثاً [1].

يا مالك تواضعنا لعلمك فانتفعنا به:

وجه الرشيد إلى مالك بن أنس رحمه الله ليأتيه فيحدثه فقال مالك: إن العلم يؤتى! فسار الرشيد إلى منزله فاستند معه إلى الجدار، فقال: يا أمير المؤمنين، من إجلال الله تعالى إجلال العلم، فقام وجلس بين يديه وبعث إلى سفيان بن عيينة فأتاه وقعد بين يديه وحدثه، فقال الرشيد بعد ذلك: يا مالك تواضعنا لعلمك فانتفعنا

(1) ابن الشجري، الأمالي الشجرية.

به وتواضع لنا علم سفيان فلم ننتفع به [1].

يا أعرابي، ما أعجبك من حديثنا؟ :

لزم أعرابي سفيان بن عيينة حتى سمع منه ثلاثة آلاف حديث، ثم جاءه يودعه، فقال له سفيان: يا أعرابي، ما أعجبك من حديثنا؟ قال: ثلاثة أحاديث: حديث عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه أنه كان يحب الحلواء ويحب العسل، وحديثه عليه الصلاة والسلام: إذا حضر العشاء وحضرة الصلاة، فابدأوا بالعشاء، وحديث عائشة عنه صلى الله عليه وسلم : ليس من البر الصيام في السفر [2].

إن لم تكن من الصالحين فإنا نحب الصالحين:

وقال بعضهم للفضيل: إن سفيان بن عيينة قبل جوائز السلطان فقال: ما أخذ منهم إلا دون حقه ثم خلا به وعاتبه بالرفق فقال: يا أبا علي إن لم تكن من الصالحين فإنا نحب الصالحين.

سلام خاص وعام عليك:

عن علي بن يونس المديني " قال: كنت جالسا عند مالك " بن أنس " فإذا سفيان بن عيينة يستأذن بالباب فقال مالك: رجل صالح صاحب سنة أدخلوه فدخل فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد السلام فقال: سلام خاص وعام عليك يا أبا عبد الله ورحمة الله فقال مالك: وعليك السلام يا أبا محمد ورحمة الله فصافحه مالك وقال: يا أبا محمد لولا أنها بدعة لعانقناك فقال سفيان: قد عانق من هو خير منا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك: جعفرا قال: نعم فقال مالك: ذاك حديث خاص يا أبا محمد ليس بعام فقال سفيان: ما عم جعفرا يعمنا وما خصه يخصنا إذا كنا صالحين أفتأذن لي أن أحدث في مجلسك قال: نعم يا أبا محمد فقال: حدثني عبد الله بن طاوس عن أبيه عن عبد الله بن عباس أنه لما قدم جعفر من أرض الحبشة اعتنقه النبي صلى الله عليه وسلم وقبل بين

(1) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء.
(2) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية.

عينيه وقال: جعفر أشبه الناس بي خلق [1].

ماذا تفعل الدنيا بأهلها!؟ :

قال: حدثني سفيان بن عيينة قال: بينا أنا ومسعر بن كدام مع إسماعيل بن أمية بفناء الكعبة إذا بعجوز قد طلعت علينا عوراء متكئة على عصا يصفق أحد لَحْيَيْها على الآخر فوقفت على إسماعيل فسلمت عليه فرد عليها السلام وسألها فأحفى المسألة ثم انصرفت فقال إسماعيل: لا إله إلا الله ماذا تفعل الدنيا بأهلها ثم أقبل علينا فقال أتعرفان هذه قلنا: لا والله ومن هي قال: هذه بَغُومُ ابن أبي ربيعة التي يقول فيها:

(حَبَّذا أنتِ يا بَغُومُ وأسماءُ ⁝ وعِيصٌ يَكُنُّنا وخَلاَءُ)

انظرا كيف صارت وما كان بمكة امرأة أجمل منها قال فقال له مسعر لا ورب هذه البنية ما أرى أنه كان عند هذه خير قط.

فلم تنفتل إليه! :

قال سفيان بن عيينة: زار قيس بن مسلم محمد بن جحادة ذات ليلة، فأتاه وهو في المسجد بعد صلاة العشاء ومحمد قائم يصلي، فقام قيس بن مسلم في الناحية الأخرى يصلي، فلم يزالا على ذلك حتى طلع الفجر، وكان قيس بن مسلم إمام مسجده، فرجع إلى الحي فأمهم ولم يلتقيا ولم يعلم محمد بمكانه؛ فقال له أهل المسجد: زارك أخوك قيس بن مسلم البارحة فلم تنفتل إليه! قال: ما علمت بمكانه، فغدا عليه فلما رآه قيس بن مسلم مقبلاً قام إليه فاعتنقه ثم خلوا جميعاً فجعلا يبكيان[2].

كنت مفكراً في أهل الجنة كيف يتزاورون فيها:

---

(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد.

(2) كان محمد بن جحادة من العابدين وكان يقال: إنه لا ينام من الليل إلا أيسره، فرأت امرأة من جيرانه كأن عليه [لعل هذه اللفظة زائدة] حللاً فرقت على أهل مسجدهم فلما انتهى الذي يفرقها إلى محمد بن جحادة دعى بسفط مختوم فأخرج حلة خضراء قالت: لم يقم لها بصري؛ قالت: فكساه إياها وقال: هذه لك بطول السهر، قالت تلك المرأة: فوالله لقد كنت أراه بعد ذلك فأتخايلها عليه تعني الحلة.

قال سفيان بن عيينة: كان عمر بن عبد العزيز يوماً ساكتاً وأصحابه يتحدثون فقالوا له: ما لك لا تتكلم يا أمير المؤمنين؟! قال: كنت مفكراً في أهل الجنة كيف يتزاورون فيها وفي أهل النار كيف يصطرخون فيها؛ ثم بكى.

كأنك لم تدع إلى ضر مسك:

عن سفيان بن عيينة عن محمد بن سوقة قال: مررت مع عون بن عبد الله بالكوفة على قصر الحجاج فقلت: لو رأيت ما نزل بنا ههنا زمن الحجاج! فقال: مررت كأنك لم تدع إلى ضر مسك؛ ارجع فاحمد الله واشكره؛ ألم تسمع إلى قول الله عز وجل: {ھھےےۓۓڭ} [يونس: ١٢].

أكثروا سؤال العافية:

عن سفيان بن عيينة عن مسعر قال: كان عبد الأعلى التيمي يقول: أكثروا سؤال العافية فإن المبتلي وإن اشتد بلاؤه ليس بأحق بالدعاء من المعافى الذي لا يأمن البلاء؛ وما المبتلون اليوم إلا من أهل العافية بالأمس، وما المبتلون بعد اليوم إلا من أهل العافية اليوم؛ ولو كان بلاء يجره خير ما كنا من رجال البلاء؛ ولو كان بلاء قد أجهد في الدنيا وأجزى في الآخرة فما يؤَمِّن من بلاء قد أجهد في الدنيا وأخزى في الآخرة؟! فما يؤَمِّن من أطال المقام على معصية الله أن يكون قد بقي له في بقية عمره من البلاء ما يجهده في الدنيا ويفضحه في الآخرة؛ ثم يقول عند ذلك: الحمد لله الذي إن نعد نعمه لا نحصيها، وإن ندأب له عملاً لا نجزيها، وإن نعمَّر فيها لا نبليها.

شكراً لله:

عن سفيان بن عيينة قال: عمل رجل من أهل الكوفة بخلق دنيء فأعتق جارية له إذ عافاه الله من ذلك الخلق؛ قال: وأمطر أهل مكة مطراً فهدمت منه البيوت فأعتق ابن أبي رواد جارية له شكراً لله إذ عافاه الله من ذلك.

من خدمك فأتعبيه ومن خدمني فاخدميه:

قال سفيان بن عيينة: سمعت أبا حازم يقول: أوحى الله عز وجل إلى الدنيا من خدمك فأتعبيه ومن خدمني فاخدميه.

ما سألت من يملكها فكيف أسأل من لا يملكها؟! :

قال سفيان بن عيينة: دخل هشام بن عبد الملك الكعبة، فإذا هو بسالم بن عبد الله، فقال له: يا سالم سلني حاجة؛ فقال له: إني لأستحيي من الله أن أسأل في بيت الله غير الله، فلما خرج خرج في أثره، فقال له: الآن قد خرجت فسلني حاجة! فقال له سالم: من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة؟ فقال: بل من حوائج الدنيا؛ فقال له سالم: ما سألت من يملكها فكيف أسأل من لا يملكها؟!

فكتبته عنك:

قال أحمد بن سليمان بن أبي شيخ: حدثني شيخ من أهل الكوفة يقال له: عوام قال: سمعت سفيان بن عيينة وقد تكلم بكلام استحسن فسأله محمد بن مناذر أن يمليه عليه فتبسم سفيان وقال له: هذا كلام سمعتك تتكلم به فاستحسنته فكتبته عنك قال: وعلى ذلك أحب أن تمليه علي فإني إذا رويته عنك كان أنفق له من أن أنسبه إلى نفسي.

سفيان بن عيينة وجاره السهمي:

وحدثت من غير وجه أن سفيان بن عيينة قال لجلسائه يوماً: إني أرى جارنا هذا السهمي قد أثرى وانفسحت له نعمةٌ، وصار ذا جاهٍ عند الأمراء، ووافداً إلى الخلفاء، فمم ذاك؟ يعني يحيى بن جامع، فقال له جلساؤه: إنه يصير إلى الخليفة فيتغنى له، فقال سفيانُ: فيقول ماذا؟ فقال أحدُ جلسائه: يقول:

أطوف نهاري مع الطائفني ⁝ وأرفع من مئزري المسبلِ

فقال سفيان: ما أحسن ما قال! فقال الرجلُ:

واسهر ليلي مع العاكفين ⁝ وأتلوا من المحكم المنزلِ

قال: حسن والله جميل، قال: إن بعد هذا شيئاً، قال سفيان: وما هو؟ قال:

عسى فارج الكرب عن يوسفٍ ⁝ يسخرُ لي ربةَ المحملِ

فزوى سفيانُ وجههُ، وأومأ بيده أن كفَّ، وقال: حلالاً حلالاً! [1].

من كلمات سفيان بن عيينة :

عن سفيان بن عيينة قال: كان يقال: الصمت زين للعالم، وستر للجاهل.

عن سفيان بن عيينة أنه قال: ما وجدت للعلم شبهاً إلا النار نقتبس منها ولا ننتقص عنها).

عن أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: والله لا تبلغوا ذروة هذا الأمر حتى لا يكون شيء أحب إليكم من الله عز وجل؛ ومن أحب القرآن فقد أحب الله عز وجل.

قال سفيان بن عيينة: كان يقال: العالم مثل السراج من مر به اقتبس منه.

وكان سفيان بن عيينة يتمثل في ذم الدنيا بهذين البيتين

دنيا تساق لها العباد ذميمة :: شيبت بأكره من نقيع الحنظل
وبنات دهر لا تزال صروفه :: فيها وقائع مثل وقع الجندل

قال حامد بن يحيى سمعت سفيان بن عيينه يقول من يسأل نذلا حاجة فقد رفعه عن قدره.

قال سفيان بن عيينة: كان يقال: احذروا فتنة العالم الفاجر، والعابد الجاهل فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون.

وعن سفيان بن عيينه، قال: عاتب الله عز وجلّ المسلمين كلّهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أبا بكر، فإنه خرج من العاتبة، قال الله تعالى: " إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار ".

وقال سفيان بن عيينة: لو أن محزونا بكى في أمة لرحم الله تلك الأمة ببكائه.

(1) الكامل في اللغة والأدب، 2 / 192.

قال سفيان بن عيينة: الدنيا كلها هموم وغموم فما كان منها سرور فهو ربح.

وقال سفيان بن عيينة: من طلب العلم فقد بايع الله عز وجل.

وقال سفيان بن عيينة: " ما أنعم الله على عبد من العباد نعمةً أعظم من أن عرَّفهم لا إله إلا الله ".

عن سفيان بن عيينة قال: غضب الله الداء الذي لا دواء له.

قال سفيان بن عيينة: كان قيس بن مسلم يصلي حتى السحر ثم يجلس فيهيج البكاء ساعة بعد ساعة ويقول: لأمر ما خلقنا، لأمر ما خلقنا، لئن لم نأت الآخرة بخير لنهلكن.

وقال سفيان بن عيينة: إنما العالم مثل السراج من جاءه اقتبس من علمه ولا ينقصه شيئا كما لا ينقص القابس من نور السراج شيئا [1].

قال سفيان بن عيينة، وذكر عنده البغي: أراد إخوة يوسف أن يذلوه فما برح بهم الدهر حتى قالوا: {ﭫﭬﭭﭮ} [يوسف: ٨٨] [2].

وقال سفيان بن عيينة: السيوف أربعة سيف لمشركي العرب وهو قوله تعالى: {ﯡﯢ} [التوبة: ٣٦] وسيف لأهل الردة على يد أبي بكر رضي الله عنه وهو: {ﭙﭚ} [الفتح: ١٦] وسيف لأهل الكتاب على يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه: {ﭽﭾﭿﮀﮁﮂ} [التوبة: ٢٩] وسيف لأهل القبلة والصلاة على يد علي رضي الله عنه: {ﮋﮌﮍﮎﮏﮐ} [الحجرات: ٩] ولولاه ما عرفنا قتال أهل القبلة.

قال سفيان بن عيينة: لو لم ينزل الله تعالى علينا إلا قوله تعالى: {ﮓﮔﮕﮖﮗﮘ} [البقرة: ٢٣٥]" لكان قد أعذر [3].

وقال سفيان بن عيينة: إن الرجل ممن كان قبلكم ليلقى الرجل العاقل فيكون بعقله عاقلاً أياماً.

قال سفيان بن عيينة: إذا كانت حياتي حياة سفيه، وموتي موت جاهل، فماذا

(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد.
(2) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية.
(3) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء.

ينفعني ما جمعت من غرائب الحكمة [1].

قال سفيان بن عيينة: إذا اجتمع قوم يذكرون الله اعتزل الشيطان والدنيا، فيقول الشيطان للدنيا: ألا ترين ما يصنعون؟ فتقول الدنيا: دعهم، فإذا تفرقوا أخذت بأعناقهم إليك.

قال سفيان بن عيينة: لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه، فإن الله أجاب دعاء شر الخلق إذ قال: رب فانظرني.

قال سفيان بن عيينة: دخلنا على فضيل في مرضه فقال: ما جاء بكم؟ والله لو لم تجيئوا كان أحب إلي؛ ثم قال: نعم الشيء المرض لولا العيادة.

رأى سفيان بن عيينة سفيان الثوري في المنام فقال له: أوصني؛ قال: أقلل من معرفة الناس، ثلاث مرات [2].

كان سفيان بن عيينة يقول: لا تعمل الأقدام في الزيارة إلاّ إلى أقدارها، وينشد:

فضع الزِّيارة حيث لا يزرى بها ⁝ كرم المزور ولا يعاب الزَّائر

قال سفيان بن عيينة: من حسن خلقه ساء خلق خادمه.

قال سفيان بن عيينة: ما استقصى كريمٌ قط، ألم تسمع إلى قوله الله تعالى: {ﭽﭾﭿﮀﮁ} [التحريم: ٣].

عن إبراهيم بن محمد بن العباس، قال: سمعت سفيان بن عيينة، وقد سئل عن المروءة ماهي؟ فقال: الأنصاف من نفسك، والتفضل على غيرك، ألم تسمع قول الله تعالى:{ﭽﭾﭿﮀﮁ} [النحل: ٩٠] لاتتمّ المروءة إلاّ بهما، العدل هو الإنصاف، والإحسان التفضل.

قال سفيان بن عيينة: وسمعت أعرابياً يقول في الموقف: اللهم إن ذنوبي لن تضرك، ورحمتك إياي لن تنقصك، فلا تمنعني مالا ينقصك، واغفر لي مالا

(1) ابن الشجري، الأمالي الشجرية.
(2) الزمخشري، ربيع الأبرار.

يضرك[1].

قال سفيان بن عيينة: قال أمير المؤمنين لأبي حازم: أوصني، قال: هين يسير، لا تأخذن شيئاً إلا بحقه، ولا تمنعن شيئاً من حقه، قال: يا أبا حازم، من يطيق هذا؟ قال: من طلب الجنة وهرب من النار.

قال سفيان بن عيينة، قيل لبعض السلف: أترجو الأجر فيما أحل الله لك؟ قال: نعم، قيل: أرأيت لو فعلت شيئاً هو حرام أكنت تخاف الإثم فيما حرم الله عليك؟ قال: نعم، قال: فارج الأجر فيما أحل الله، كما تخاف الإثم فيما حرم الله عليك.

قال سفيان بن عيينة، قال عبد الله بن مسعود لأصحابه: أنتم جلاء قلبي، ثم أقبل سفيان على أصحابه وقال: ولكنكم غطاء قلبي.

قال سفيان بن عيينة: أكبر الكبائر الشّرك بالله تعالى، والقنوط من رحمة الله عزّ وجلّ، واليأس من روح الله عزّ ذكره، والأمان من مكر الله جلّ ثناؤه، ثم قرأ: {ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ} [الأعراف: ٩٩]،{ﭼﭽﭾﭿ ﮀ ﮁﮂ} [المائدة: ٧٢]،{ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ} [يوسف: ٨٧]،{ﭼﭽﭾﭿﮀ} [الحجر: ٥٦].

وقال: ثنتان منجيتان، وثنتان مهلكتان؛ فالمنجيتان النّهي والنّيّة، قال: والنّيّة أن تنوي أن تطيع الله فيما تستقبل، والنّهي أن تنهى نفسك عمّا حرّم الله عليك؛ والمهلكتان: العجب والقنوط.

وسئل سفيان بن عيينة: هل حرّمت الصّدقة على أحدٍ من الأنبياء قبل محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم وقبل عترته الطّاهرة؟ قال: ألم تسمع قول إخوة يوسف:{ﭼﭽﭾﭿﮀ} [يوسف: ٨٨] وهم لا يعرفون يوسف، يريدون أن يتصدّق عليهم وعلى يعقوب.

سئل سفيان بن عيينة عن الكراهية لرفع الصوت وكثرة الكلام عند الميت وفي الجنازة قال: لأنه الحشر إلى الآخرة، ألم تسمع قوله:{ﭩﭪﭫﭬﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ} [طه: ١٠٨] فلتعظيم الموت استحبّ قلّة الكلام.

وسئل عن قوله صلى الله عليه وسلم ::**لا يضرّ المدح من عرف نفسه،**

(1) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس.

قال: ألم تسمع قوله: {چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ} [يوسف: ٥٥]، وقول العبد الصالح: {ى ى ې ې} [الشعراء: ١٠٧]، أي لكم ناصحٌ أمين، فمن عرف أنّ ما به من نعمةٍ فمن الله تعالى فال بأس: {ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ} [الضحى: ١١]، وإن أثنى عليه غيره عرفت أنّ ذلك ستر الله تعالى ونعمته، ألم تسمع قول الله تعالى: {ې ې ې ې ى ى} [مريم: ٥٠]، وكان محمدٌ صلى الله عليه وسلم لسانه الذي أنطقه الله تعالى عنه، فأكذب من قال فيه غير الحقّ: {ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ} [النحل: ١٢٠]، وقال: {ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئې} [آل عمران: ٦٧]، فهذا اللسان الصّدوق. وقال ابن مسعود: إنّي لأعلمكم بكتاب الله تعالى وما أنا بخيركم؛ وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: إنّ بين جنبيّ علماً جماً فسلوني قبل أن تفقدوني. فمن عرف أنّ الأمر من الله تعالى لم يضّره المدح، لأنّه قد عرف نفسه، ولا يضرّ ثناءٌ من أثنى عليه كقول عمر: اغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني خيراً ممّا يظنّون.

سئل سفيان بن عيينة عن قول مطّرفٍ: فإذا بدء الأمر من الله، وتمامه بالله، وملاكه الدعاء، قال: ألم تسمع قوله تعالى: {ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ھ} [الأعراف: ٥٤ - ٥٥]. يقال: ما الكبر، والجبر، والنّبر، والدّبر، والسّبر، والشّبر، والغبر، والعبر، والسّدر، والهتر، والغمر، والزّبر.

قال سفيان بن عيينة: صحبت النّاس خمسين سنةً ما ستر أحدٌ لي عورةً، ولا ردّ عني غيبةً، ولا عفا لي عن مظلمةٍ، ولا قطعته فوصلني، وأخصّ إخواني لو خالفته في رمّانةٍ فقلت: حامضة، وقال: حلوة، لسعى فيّ حتى يشيط دمي [1].

وكتب مرة إلى أخ له أما آن لك يا أخي أن تستوحش من الناس ولقد أدركنا الناس وهم إذا بلغ أحدهم الأربعين سنة جن عن معارفه وصار كأنه مختلط العقل من شدة تأهبه للموت وكان إذا أعطاه الناس شيئاً يقول أعطوه لفلان فإنه أحوج مني.

وكان يقول: من صبر على البلاء ورضي بالقضاء فقد كمل أمره وكان

(1) أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي، البصائر والذخائر، تحقيق: د. وداد القاضي، دار صادر - بيروت / لبنان - 1419هـ - 999 م، الطبعة الرابعة.

يقول: بحسب امرئ من الشر أن يرى من نفسه فساداً لا يصلحه، وكان يقول: خصلتان يعسر علاجهما ترك الطمع فيما بأيدي الناس، وإخلاص العمل لله.

وكان يقول: إذا كان نهاري نهار سفيه وليلي ليل جاهل فماذا أصنع بالعلم الذي كتبت.

وكان يقول بمن زيد في عقله نقص من رزقه.

وكان يقول: لا إله إلا الله بمنزلة الماء في الدنيا فمن لم يكن معه لا إله إلا الله فهو ميت ومن كانت معه فهو حي.

وكان يقول: ما أنعم الله عز وجل على العباد نعمة أفضل من أن عرفهم لا إله إلا الله وإن لا إله إلا الله في الآخرة كالماء في الدنيا.

وكان يقول: فسر حديث: " من كشنا فليس منا " ونحوه على أن المراد ليس هو على هدينا وحسن طريقتنا فقد أساء الأدب فإن السكوت عن تفسيره أبلغ في الزجر.

وكان رضي الله عنه يقول: الزهد في الدنيا هو الصبر وارتقاب الموت.

وقال: حرملة أخرج لي سفيان بن عيينة رغيف شعير من كمه، وقال لي: دع ما يقوله الناس فإنه طعامي منذ ستين سنة.

وكان رضي الله عنه يقول: ليس من حب الدنيا طلبك ما لا بد منه.

وكان يقول: ماء زمزم بمنزلة الطيب لا يرد.

وكان يقول: إذا كانت نفس المؤمن متعلقة بدينه حتى يقضي فكيف بصاحب الغيبة فإن اللين يقضي والغيبة لا تقضي ولو أن رجلا أصاب من مال رجل شيئاً ثم تورع عنه بعد موته فجاء به إلى ورثته لكنا نرى أن ذلك كفارات له ولو أنه اغتابه ثم تورع وجاء بعد موته إلى ورثته وإلى جميع أهل الأرض فجعلوه في حل ما كان في حل فعرض المؤمن أشد من ماله.

وكان يقول: وصى الخضر موسى عليهما السلام أن لا يعير أحداً بذنب.

وكان رضي الله عنه يقول: إن للأنبياء عليهم الصلاة والسلام سراً وللعلماء رضي الله عنهم سراً، وإن للملوك سراً فلو أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

أظهروا سرهم للعامة لفسدت النبوة، ولو أن العلماء رضي الله عنهم أظهروا سرهم للعامة لفسدت عليهم، ولو أن الملوك أظهروا سرهم للعامة لفسد ملكهم.

وكان رضي الله عنه يقول: العلم إن لم ينفعك ضرك.

وكان إذا فرغ من صلاته يقول: اللهم اغفر لي ما كان فيها.

وكان يقول: لا يكون طالب العلم عاقلا حتى يرى نفسه دون كل المسلمين.

وكان يقول: إذا لم تصل حقك إلا بالخصومة والسلطان فدعه لما ترجو من سلامة دينك.

وكان يقول: كم من شخص يظهر الزهد في الدنيا والله مطلع على قلبه أنه محب لها.

وكان رضي الله عنه يقول: كتمان الفقر مطلوب لأنه من الأعمال الصالحة وذلك من أشد ما يكون على النفس.

وكان رضي الله عنه بقول: الجهاد عشرة فجهاد العدو واحد وجهاد النفس تسعة وكان رضي الله عنه يقول: إنما عرفوا لأنهم أحبوا أن لا يعرفوا.

وكان يقول: ائتوا الصلاة قبل النداء ولا تكونوا كالعبد السوء لا يأتي للصلاة حتى يدعى إليها.

وكان رضي الله عنه يقول: ما عليك أضر من علم لا تعمل به.

وكان يقول: شرار من مضي عام أول خير من خياركم اليوم.

وكان رضي الله عنه يقول: أن الزمان الذي يحتاج الناس فيه إلى مثلنا لزمان سوء.

قال محمد بن قدامة سمعت سفيان بن عيينة يقول لابن مناذر يا أبا عبد الله ما بقي أحد أخافه غيرك وكأني بك قد مت فرثيتني فلما مات سفيان بن عيينة قال ابن مناذر يرثيه:

راحوا بسُفيانَ على نعْشِه :: والعِلمُ مَكسُوّيْن أَكْفانا
إنّ الذي غُودِرَ بالمُنْحَنَى : هَدَّ من الإسلام أَركانا

لا يُبعِـــدَنكَ اللهُ مـــن مَيّـــتٍ :: وَرَّثنـــا عِلمـــاً وأحزانـــا [1]

:

::

:

* * *

(1) الكامل في اللغة والأدب، 2 / 192.